

ظلمات فخر



روضه عبد الله

عولوى

أسم الكتاب: مخلجات فكر

تأليف : وضحه عبدالله

تصميم وإخراج: أ. عادل خضر

سنة الطبع: 2020

الناشر : حلم على ورق للنشر الإلكتروني

رقم الإصدار: 09

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب او تخزين مادته بطريقة
الاسترجاع او نقله على اي نحو او باي طريقة كانت الكترونية او
ميكانيكية او بالتصوير او بالتسجيل
او بخالف ذلك إلا بموافقة كتابية من المؤلف او الناشر
ملاحظة : الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر .

(١)

غُصْنًا أَخْضَرُ
يَتَمَائِلُ مَعَ النِّسَمَاتِ
قُطِعَ مِنْ شَجَرَتِهِ!
احْتَرَقَ
اشْتَعَلَ
ثُمَّ انْطَفَأَ!

كُومَةُ الرَّمَادِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَوْمٍ مَا غُصْنًا..
تَنْثُرُهُ الرِّيحُ عَلَى الطُّرُقَاتِ!!

-مَنْ أَخْمَدَ ثَوْرَةَ اللَّهَيْبِ بِأَعْمَاقِهِ؟-

(٢)

خذلتنا أقدامنا بالوصولِ إلى ما نريد!

وقفنا حيث نحن

نرسمُ بالخيالِ مدناً خلابة

قرى وتلال

سماءً وغيومًا ملونة

أوطانًا وسلام

نُشكِّلُ من أحلامنا المكسورة

أفراحًا أبدية

وابتسامات لا تغيب!

سرعان ما تتبدّد لحظاتُ الحلم كلها بطرفة عين!!

لحظةً انتباه تنفضُ عنا غبارَ الشرود الذي اعتلانا!

ونعودُ لما نحنُ فيه

واقفين حيث كُنّا !

نلوحُ للأحلام من بعيد : " وداعًا !

لو كان لنا أجنحة لطرنا معك!"

(٣)

خلف تلك الأسوارُ العاليةِ سماوات زرقاء، وحُقُول أَرهَقها
الربيعُ نضارةً واخضرارًا!

خلف تلك الأسوارُ أُمْنِيات مُحلّقة تبحثُ عن غُصْنٍ شديدٍ
لتبني عليه عُشَّها!

هَدَمَ تلك الأسوار .. وَكُنْ أَنْتَ هَذَا الْغُصْنِ!

(٤)

من يُخبر تلك الغيمة المُثقلة
أنّ هذه الأرض تحملُ آلاف الأحلام المدفونة؟!
أنّنا في باطنِ هذه الأرض بذرنا الكثيرَ من الأمنيات!

مرّت فصولُ العامِ والأرضُ العقيمةُ لم تُنجب من الآمالِ
سُنبلَةً وحيدة!

يا غيمةً جفّت منابعُ دمعِها
أحلامُنا الخضراءُ قد يبست!
تشبّثت بالصبرِ أعوامًا
طالَ الخريفُ
خارت قواها حين أرهقها السراب
سقطت بأيدي الرّيح
تبحثُ عن عناوينِ جديدة!!

(٥)

كُلِّ العَصافير الصغيرة
يحملُ في جَعْبته الكثيرَ من الأمنيات
على صفحةِ السَّماء
يرسُمُ أجنحةً زاهيةَ الألوان
يفرُدُها عاليًا في أفقٍ وسيع
مع إطلالة كل فجر
يُرفرفُ حُرًّا من غُصنٍ لغُصنٍ
يشدُّو أعذبَ الألحان
يُسمعُ الكُونَ أغنياتَ السلام!

في أقصى الغابةِ فوهةٌ بُندقية
تقذفُ بالموت!
تقتنصُ الأحلامَ في سفهِ وتيه!!

في صباحٍ ندي
غادر العُصفورُ عُشّه الدافئ
حلّق في الفضاءِ الرحبِ لأولِ مرة
لفظته السّماءُ
أمنيةً مكسورةً الجناح!!

(٦)

أهمسُ للأمني البعيدة .. تعالى..!
 ثم أصدُ سُلّم صُوتي
 أنادي عليها .. تعالى!!
 أتذكرُ أنّ صُوتي العذبَ قد بُحَّ
 لطولِ امتداد البُكاء المرير
 على حنّجرتي !!
 فكيف تُميّزُ الآمالُ نبرتهُ الحزينة؟
 وكيف تُجيبُنِي؟!!

من أعلى ذلك السُلّم أرمي كُلَّ ضحكاتي التي خبأْتُها بانتظارِ
 قدومِ الأمني السعيدة..!!
 ثم أهبطُ أبحثُ عن زاويةٍ صامتةٍ
 تحتوي خيبتني
 وأجري بصمتٍ بقايا الدّموع !!

(٧)

" نبقى على قيد الحياة، ما دامت لنا أحلام لم تتحقق بعد.. "

سحرُ الأحلام لا يكمن في لذة تحقُّقها، بل في مُتعة الركض
نحوها بشغف، وكأنها ريشة تُحلّق بين نسمات الهواء!!
نتوقُّ لها ما دامت هناك مسافة تفصلنا عن بلوغها والامساك
بها بأيدينا..

أرواحهم مؤتلفة من تكتنفهم الرغبة الجامحة بنيل أحلامهم،
يُطيقون صبراً ما دام في حوزتهم ما يسدّ رمقهم من أملٍ
ببلوغ غاياتهم! صامدون أكثر في وجه معاناتهم المرة..
تظلّ الأحلام بالنسبة لهم ثغرةً يتنفسون الحياة من خلالها،
حين يضيق هذا العالم البائس ببشاعته!

يتعلّقون بقشة الأمل _ أولئك الغارقون بمأساتهم_ وكأنها طوق
نجاة!!

(٨)

الأحلامُ باحةٌ غنّاءُ نستريحُ في ظلالِها الوارفة، بعد عناء
رحلاتنا الطويلة، في دروبٍ قطعناها مُجبرين..

(٩)

رب حين أتعثّر .. حين أسقطُ في مكاني كآنية زُجاجية!
علّمني كيف أنهض بعدها، كيف ألمُّ شظاياي وأمضي دون
أن تنتبه الذاكرة!

رب علّمني كيف أُرَبِّي قلبي الشقيّ، كيف أمنعه الركضَ في
الدروبِ الشائكةِ حافِ القدمين..!

(١٠)

السفر طویل وليس لي زاد أقتاتُ به إلا الصبرَ في سبيلك،
ولا لي غاية أرجوها إلا نيلَ رضاك.

رَبِّي تُهْتُ فِي دُرُوبٍ شَتَّى وَلَمْ أَصِلْ..

تَعَثَّرْتُ هُنَا وَهُنَاكَ ضَعْفًا وَعَجْزًا لَكِنِّي لَمْ أَكَلِّ وَلَمْ أُسَامِ،
خَضْتُ الْمَعَارِكَ بِرُوحٍ هَشَّةٍ، هُزِمْتُ أحيانًا وَخَسِرْتُ بَعْضًا
مَنِي..

وَفِي خُضْمٍ مَا أَنَا فِيهِ أَلْتَجِي لِحُصْنِكَ الْمَنِيعِ، أَتَكِي عَلَى
جِدَارِكَ بِكَامِلٍ تَعْبِي وَحُزْنِي وَبُؤْسِي، أَدْرِك يَا مَوْلَايَ أَنَّكَ لَنْ
تَخْذُلَ ضَعِيفًا اسْتَغَاثَ بِكَ، لَنْ تَرُدَّ مُحْتَاجًا طَلِبَ الْعَوْنَ مِنْكَ
وَحْدَكَ، لَنْ تُخَيِّبَ ظَنًّا خَائِفًا فَرَّ إِلَيْكَ وَلَاذًا بِأَمَانِكَ.

مَوْلَايَ أَبْتَهَلُ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ أَنْ تُغْنِيَنِي بِقُوَّتِكَ عَنْ ضَعْفِي
وَوَهْنِي، وَبِلُطْفِكَ وَعَطْفِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ..

(١١)

أُنَادِيكَ وَفِي نَفْسِي حَنِينٌ وَرَجَاءٌ، حَنِينٌ مِنْ طَالٍ بِهِ الْبُعْدُ،
وَرَجَاءٌ قَلْبٍ يُدْرِكُ يَقِينًا أَنَّكَ اللَّهُ، مُجِيبُ الْمُنَادِينَ وَمُغِيثُ
الْمَلْهُوفِينَ، وَدَلِيلُ السَّائِرِينَ التَّائِهِينَ..

وَقَفْتُ بِبَابِكَ وَقَفَّةً سَائِلٍ لَمْ يَسْأَلْ غَيْرَكَ،
وَمَحْتَاجٍ لَا يَرَى حَاجَتَهُ عِنْدَ مَنْ هُوَ دُونَكَ،
لَمْ أَلْتَفِتْ لِأَبْوَابٍ فَتَحَوْهَا بَوَجهِي، وَانصَرَفْتُ أَطْرُقُ بَابَ
سَمَاوَاتِكَ سَائِلًا مُتَذَلِّلًا..
أَنْتَ رَجَائِي وَسُؤْلِي وَغَايَةُ أَمْلِي..

نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنِ النَّاسِ، عَنِ وِدْهِمْ وَعَطَائِهِمْ، حِينَ عَلِمْتُ أَنَّ
وِدْهِمْ مُؤَقَّتٌ، وَعَطَائِهِمْ مُحْدُودٌ..
وَأَنْتَ الْوَدُودُ وَاسِعُ الْعَطَاءِ وَالْكَرَمِ..

ربي وحدك من ترى سوء نفسي وقسوة حالي، امنحني قوة
منك أهزم بها شر نفسي، وتفضل عليّ برحمة منك أكتفي بها
عمّن سواك..

ربي خذني مني إليك..

(١٢)

ربّ حين أغرق في العدم، وتنساب في الظلمات رُوحِي تائهة
حائرة متعبة، حين تنسكب الحسرات بأعمالي وجعًا فات
أوانه، حين أنهض وأركض في الدرب دون هدى،
دلّني.."

(١٣)

في زاويةٍ مُعْتَمَةٍ
أشْعَلُ شَمْعَةَ الْأَمْسِ
أُصِيخُ السَّمْعَ لِلْأَيَّامِ
تَعْبُرُ شَارِعَ الذِّكْرِ
على عَجَلٍ وَتَمْضِي!

أَمْدُ يَدَيَّ فِي لَهْفَةٍ
لأَحْضَنَ مَا تَنَاطَرَ
من خِيَالَاتٍ قَدِيمَةٍ
وَأَحْلَامٍ عَتِيقَةٍ
وَأَرْسُومُهَا عَلَى الْأَفْقِ الْبَعِيدِ
نَجُومًا تُضِيءُ وَتَنْطَفِئُ!

هُنَاكَ فِي زَاوِيَةٍ مُعْتَمَةٍ

أَقْلَوِمُ الْأَحْزَانِ فِي صَمْتِ

نَافَذَتِي مُشْرَعَةً

لصُبْحٍ قَرِيبٍ

سَيَأْتِي مُحْمَلًا

بِالنُّورِ وَالْأَمَلِ

عَصَافِيرُ الصَّبَاحِ تُحَوِّمُ فَوْقَ رَأْسِي

تُفْتَشُ بَيْنَ أَهْدَابِي

عَنْ دَمْعَةٍ حَبِيسَةٍ

عَنْ بَسْمَةٍ

عَنْ دَفْءٍ وَنُورٍ!

أَوْدُ لَوْ أَطِيرَ مِثْلَهَا!!!

-كَيْفَ لَشَجَرَةٍ جِذُورُهَا فِي الْأَرْضِ

أَنْ تَطِيرَ!!؟

(١٤)

أنا ذلك الظلُّ المُنْعَكِسُ
على جدارِ الأيامِ
شارد ووحيد
تسحبُ الشَّمْسُ أذيالَ ضوئِها الدافئِ
وتختفي عن الأنظار!!
أشعرُ بالبردِ فأتدثرُ بالظلام!
أهتفُ بالليل:
خبأني تحت جناحيك
فيفعل!!

تسألُ الجُدران عني
كُل من مرَّ هُناك
يُنفي الليلُ وجودي
وأُفنى
خلف أسوارِ العدم!!

(١٥)

هذا الغيابُ باب
يعبرُ الحزنُ من خلاله
عابسُ الوجه
بعينين محفورتين
كطعناتٍ خنجر
تنزفُ الدمعَ وجعًا أسودًا!..

عند مدخل الباب
تندمجُ خيوطُ النورِ
بالعتمة
تذوبُ فيها وتختفي!!

أما أنا..
أقفُ هناك
أُحدقُ في الظلالِ المائلة
كُلّما مرّت الرّيحُ
تتمايلُ على الجدرانِ

كأجسادٍ سكرى...!!

و حين يُخَيِّمُ المساءُ
تعبُرُ الذكرى من الباب
تجلسُ بجانبى
تروي لي الحكايا القديمة
حتى تملّ
تتشاءبُ
ثم تغفو بثقلها على صدري..

باب مفتوح على مصراعيه
للريّح والعواصف
للشرّ والعذاب
يتدلى الشوق على مدخله
كحبل مشنقة..
تتأرجحُ الرُّوحُ عليه
حتى تختنق !!

(١٦)

شارع قديم
مُمتد على جانبيه
رصيف مُتهالك..
شارع شاحب الوجه
يلفحه هجيرُ الشمسِ
في عزّ الظهيرة..
صامت
يكتُمُ أنينه...!!

الطريقُ الذي يمتدُّ صبرًا
إلى الرمقِ الأخيرِ
أتعبهُ العبور..
يسألُ أقدامَ المارة :
-هل سئمت الركض؟
تقول :

-هل تتعبُ الخطواتُ من طولِ المسير!!؟

(١٧)

مُواساتُك المُشفقة لأحديهم، لن تُردِم فجوات صنعِها بِداخلِه
الخِيَّاتُ المُتكررة !!

(١٨)

فقد المساءُ لهفته
لأنني تجاوزتُ رَغبتي
أفرغتُ من إناء الذاكرة
كُل الكلمات المُرتبة
التي كُنت أودّ قولها..
قلبي وردةٌ ذابِلة
وجسدي شجرة يابسة
ليس لها ظل...!!

ليل وقمر مُعلّق على السّماء

ك قنديل

وحيد وكئيب!!

وهذه المدينة عطشى

ترى غيمةً مُثقلةً بالدموع

تتوسلّها البكاء

ليسقط المطر..

يغسلُ الحزنَ

من زُجاج النّوافذ

يمحو من الرّصيف

آثار مَنْ رحلوا...!!

يَلْمُعُ البرق
 تَقُولُ قطرة لأختها:
 "تَمْسِكِي بي
 لتأخذنا الرِّيح لبلادٍ أُخرى
 تِلَال
 وأزهار
 وعُشْب
 سَنَمْضِي
 وَتَقُولُ الأرض :
 مَرَّتْ مِنْ هُنَا قَطْرَةٌ
 وَعَلَى آثَارِهَا
 نَبَتَتْ حَيَاةٌ !"

(١٩)

في كوكب مَلِيءٍ بالنُّسخِ المُكرّرة، يَحيا الكثيرون حياةً
عادية، لا تُثير إهتمامي تفاصيلُها المُملة الرتيبة..
أريد أن أتنفس المَعنى الذي أهفُو إليه،
أن أحيا حياة مُختلفة تُشبهُني أنا،
أنا لا غير ..

(٢٠)

البُكاءُ نافذةُ القلب..
تُفتح فَ تَتَفَرَّغُ الآهاتُ المكتومة، وتتنفسُ الأعماقُ المُختنقة
بما تحتويه..
ومنها تنسكبُ الأوجاعُ خارجَ إناءِ الذاتِ، دُموعًا تَسْقُطُ ولا
تَعُودُ!!

(٢١)

أزهرت في ربيع القلب بُستانًا نديًا
 ثم لما قَيَّدَها البوحُ جفت !!
 حلَّ الخريفُ وتساقطتْ كَ أوراقٍ يَابِسةٍ، تقاذفتها رياحُ
 النسيان على أرصفة القلبِ المَهْجُورة ..
 تلك هي
 " الكلمات التي لم تُنطق " !!

(٢٢)

بهْدوءٍ تقفُ على الرّصيف
على الضّفة الأخرى
تاركاً كل ما مرّ بك من مسرّاتٍ ومآسي!
ها هي تعبُرُ الشارعَ دونك
تخوضُ غمارَ البحرِ
يُبَدِّدُها الغرق!

لقد إختبرت المشاعرَ كلّها
وأدركت الآن أنّ لا أنت ولا قلبك
سُيعِيدُكَ إلى حيث كُنْتَ!
لا شيء سيدعوك للرجوع لحافة الهاوية!
إلى حيث تُخلّق بك الأفراحُ عاليًا
ثم تُردّيك الأحرانُ بقعرها السحيق!
تقفُ على الحياضِ خاويًا
مكتظ باللاشيء
مُدركًا أنّ لا شعور سيهزّك بعدها
- عُصن مقطوع
أيؤثر فيه هبوبُ العواصف..؟!!

(٢٣)

شجرة كلما مدّت للشمس يد خضراء
قُطعت بقسوة!
وبالأمل والصبر تنبت لها يد جديدة..

تقول الأرض :

لتعش تلك الشجرة بسلام، يجب أن تتعلم النسيان!
ألا تلتفت للماضي !!

هناك حيث تطعن الخيانة في خاصرة قلوبنا، وتضرب
بشراسة فوق أرواحنا الهشة، وتكسر كتفاً اتكأت عليها
زمناً..!

تقول الشجرة :

ذلك الفأس الذي يبتز أطرافه كلما أمتدت لتعانق الحياة..
كان أول قطعة خشب أنجبها !

(٢٤)

كشجرةٍ مقطوعةٍ أغصانها
بلا ثمر ولا ظلال
تبدو كجذعٍ يابسٍ خاوٍ من الحياة

واقفةً لوحدها تُعاقرُ الجفاف
مبتورة الأطراف!
لا تُصافح المارين ولا تُعانق الرياح!

غيمة في ذهنها بخيلة الدمع
شحيحة الوعود
يمرّ فصل الصيف لا تُمطر!
ولا تُلقي بشارات العطاء..

تستنجدُ الجذورُ من تحت الثرى :
"نفدت مونة البكاء في الأعماق!!"
كيف نواجه قسوة الشتاء..؟!!

يقولُ الجذع :

" مُتدثر بالصبرِ دهرًا !

أنهارَ جبروتِ العواصفِ والرياح

أمام صبري وصمودي..

- يوماً ستفيضُ السماءُ بخيرها

وستنمو لي براعم أكثر اخضراراً

وتمتدُّ لي يدان

بلهفةٍ تطوقان الشمسَ في كبدِ السماء!

وبدفيها سينجلي الصقيع..

ستزهرُ الرُّوحُ بهجةً

وبتغرُّها الفتان

تُقبِّلُ وجنةَ الربيع

سأبتسم وتسقطُ الثِّمارُ من فمي

عناقيدَ خيرٍ وعطاء.."

(٢٥)

غصّة في أعماقه
تَكْبُرُ كُلّما عَبَرَ تلك الدُرُوب المُكْتَضَة بالأَسَى..
ضاقت بها أضلاعه الهشة، وتسارع نبضه من شدة
اضطرابها بداخله ..

تتمنى التحرّر منه كدمعة!
لكنها في كل مرة تُحاولُ الفرارَ
تتسلّقُ أنفاسه لأعلى
ثم تصطدمُ بزُجاجِ عينيه..!

(٢٦)

كُل من ينظر في عيني يرى
صورةً لوجهه المنسي
مُعلّقةً على حائطِ البُكاء !!

- أتساءل : كم دمة يجبُ أن تسقط من جفني؟!
كي يتهدم الحائط ويتشظى وجهه بداخلي !

(٢٧)

بعد أن ودعتني ورحلت..
وضعتُ قلبي على رصيفٍ انتظارك!
لتدوسه أقدامُ السنواتِ التي مرّت بعدك!..

(٢٨)

طُفْتُ التَّصَبَّرَ كُلَّهُ

لم يبق لي في أرض صبري موضع
قد يحتوي ألمي!

- أين الهُروب؟!

لم يبق لي وطن أخط عليه تعبتي
أو أنام!

(٢٩)

فاضَ الحنينُ مدامعاً في مُقلتيّ

والدمعُ نمام فصيح!

يوماً سينطقُ ما أقاسي!!

- أين المفر من البُكاء؟!

أين يمضي هارب مما يُعاني؟!

(٣٠)

فاقَ الأسى حدَّ التَكْثُمِ
والصمتُ قد أمسى رفيق لا يخون

- كيف النجاة؟!
الجُرحُ سكين
هنا في خافقي
والبوحُ شوك في لساني!!

(٣١)

فلتنطوي الدُرُوبُ
أو تستنكرُ الخطواتُ طولَ السيرِ..
فلتشتكي الأقدام..
" أن تعبنا الركض!!
أما لهذا الدربُ آخر...؟! "

(٣٢)

فليخرس الأنينُ في الأعماق!

أو

فلتصرُخ الأفواه.. " أن سئمنا..!

- فهل لهذا الصبر حد؟! "

(٣٣)

ضوء مُنبثق
بسناه الساطع
يخترقُ ضبابَ الظُّلماتِ..

حلّقت بِمُحاذاتِهِ بأجنحةٍ مُتمردة
طافتُ حائرةً بفضاءٍ من نور
بشغفٍ اقتربت منه
سبى نُهاها بِريقُهُ الفتان!!
اقتربت أكثر
التصقت بشُعاعِهِ
إتحدت بِهِ فتلاشت ظِلَالُهَا
عن الجُدران!

رقة برقة
غاصت بأعماقِ نيرانه
هَوّت عند جذوته المُشتعلة
وسقطت في قعرِ جحيمه!!

عمياء

-لم ترى بين خيوط النور حبل المشنقة !!
-لم ترى في بؤرة الضوء هاوية اللهب!

أيها النور قل لي :

-ما ذنب فراشة هامت فأحرقها هواها؟!

(٣٤)

عندما تلتفتُ إلى المَاضِي سَتَرى أن الحياة لم تتوقف عندك،
بل سارت من خِلالك!!

عبرتُ قافلةَ الزَّمنِ مُدْنَ أحلامِكَ سريعًا

لم تتركُ عليها سوى الغُبار!

غُبار عكَّرَ صفاءَ أجواءك، حالَ بينك وبين رؤيتك لأهدافك
في الحياة..

فهل ستُطبقُ أحلامك مزيدًا من الخيبات؟!

لا تلتفت للخلف..!!

خساراتُ الأمسِ لن تعود كإنجازات، بل كإحباط !

التفائتُك لما فات لن يُورث بداخلِك سوى الحسرة..

لذا ابني من حُطامِ الماضي جسرًا يُوصلُك لما تأمل..

(٣٥)

حين حانت ساعة الحسم..
اخترنا الهزيمة في سبيل الصّمت
لم نُذ بالكلمات!!

(٣٦)

كان يتصدّق بجزءٍ من قلبه على كلِّ بائسٍ يُقابله في طريقه..

توقف عند المحطة
شعرَ بالفراغ يحتشدُ تحت أضلاعه!

لم يجد قلبه...!!

(٣٧)

أتعبها الوقوف على حافة البكاء
كدمعة حائرة..

تحرّرت أخيراً من قيود أجفانه
تلاشت
ثم اختفت !!
هاهي الآن غيمة تُحلّق في فضاء بعيد!!
-هل دمع تساقط يُستردّ؟

(٣٨)

تعيش دوماً في جنةٍ عبيرها يفوح في الأرجاء..
تلك التي لا تُلامس بكفها شيئاً
إلا أخضرّ وأزهر!!

(٣٩)

كيف باستِطاعتك إثبات أنك مُنطَفئ؟!
وكلّ ما فيك يُضيء!

(٤٠)

لم يَرُوا في ابتسامتك البائسة
صبرك وصمودك..
لم يَرُوا خلف رُوحك الرّقيقة سوى ظلالها المُحنّية...!!

(٤١)

الستائر

تنقل ما تحمله النسماتُ الطليقةُ من رسائلِ شوقٍ خفية
للجدرانِ المحكُومِ عليها بالوقوفِ إلى الأبد..!

(٤٢)

بانحناءٍ جسده يُعلمُ الناسَ طُقُوسَ الصَّبْرِ!
يعبرُ الدهرَ حاملاً على عاتقه
هزائمه وخيباته ..
ولا يشكو التعب!

(٤٣)

تتحدّثُ الوردَةُ فتُخرِجُ الكلماتُ من فمِها مُعطرّةٌ ..!

تقولُ النسماتُ :

همسُها الفوّاح يُلامسُ القلوبَ فتعلقُ بعبيره ..!

(٤٤)

في نفسك حُفرةٌ عميقة، تندُّ فيها كُلُّ بوحٍ عجزت عن النطق
به ..!

كلماتٌ تتنفسُ غضبًا، تدفنُها في جوفِكَ عنوةً، تنصهرُ
أجسادُها بحرّاً أوجاعِكَ، وتذوبُ حروفُها تحت وطأة
كتمانِكَ ..!

تسيلُ من عينيك معانٍ خرساء، لكنها تصفُ مرارةَ صمتِكَ!

(٤٥)

القلبُ بين أمواج المشاعرِ المضطربة
يجري كزورقٍ مُتعب
في بحرٍ لا شط له ولا مرسى..!

(٤٦)

أرادَ كُلًّا منهما أن يذهب بإتجاهٍ مُختلف!
في محطةِ الوداع
أطلقا ذلك الحُبَّ الذي مكث في قلوبيهما زمناً..
وضعاها على الرّصيفِ حزينًا تائهاً، والتفت كُلًّا منهما مُتجهًا
في طريقه
قاصداً أرضَ النسيان!

ذلك الحُبَّ الواقفُ خلفهما باكيًا
أين يمضي يا تُرى!!

(٤٧)

ليتني أتبيّن مخبأ تلك الدّمة التي تظلّ طيلة الوقت تجهش
بالبكاء!

تجري في داخلي حزينةً من ركنٍ لركنٍ، تجيشُ النفسُ
اضطراباً مع اضطرابها، وتأسى لحيرتها وحُزنها..
متى تتحدّر بكفّ النسيان حاملةً معها خيبة أيامي؟!!

(٤٨)

كم كانت خسارته فظيعة
ذلك الذي قرّر ألا يخوض معركةً بعدها!

(٤٩)

يَدْنُو الصَّبَاحُ
يَمْسَحُ عَنْ أَعْيُنِ الْكَوْنِ
ضَبَابَ الْمَنَامِ
وَيُغْسِلُ عَنْ وَجْنَتَيْهِ
لَوْنَ الْمَسَاءِ..
وَيُوقِدُ جَمَرَ الضِّيَاءِ
بِكَفِّ السَّمَاءِ!!

تُطَلِّ الشَّمْسُ
مِنْ شُبَّاكِ الْأُفُقِ
تَدْنُو
تُقَبِّلُ خَدَّ الْهَوَاءِ
بِقُبْلَاتِهَا الْحَارَّةِ!!

(٥٠)

حين تتعبُ الشمسُ من التوهج
على منصةِ السماء
يضمُرُ شعاعُها ويبهت تدريجياً
حتى يتضاءل
ثم تختفي..!
يملّ النهارُ سردَ الأحداثِ والوقائع
يتمدّدُ على السكون
يتغطى بالظلام
ويُعْطّ في نومٍ عميق!
تاركاً ساحةَ الزمن
للليلِ أسود
يُنَادِي على العابرين
ليسمعُوا حكاياهُ
وقصصَهُ المُرعبة..
من سحرِ أحاديثه
تُصابُ أعينُهُم بالأرق..!!

(٥١)

كيف ينمو الحُلم في أرضِ الأسى؟!
يُسقى بماءٍ مالحٍ كالدمعِ
فوق ثرى الجراح...!!

(٥٢)

حُزني إجتماعي جدًّا
يذهبُ لحضور المآتم
العزاءات
مراسمَ الدفن
هزائمَ الأحرار
خساراتَ الشعوب..!

حُزني لا تُشبعه أوجاعي
ولا يرويه دمعي الغزير
منذ انبثاق الصُبح
يأخذُ قلبي
يخرجُ لشوارع المدينة متسولاً
حُزناً فائضاً عن حاجة أهله
دمعاً حبيساً
بؤساً مقيتاً
جُرحاً دفيناً!

يسرق بعضاً من شروذ التائهين
وحنين الفاقدين
ومُعاناة المضطهدين
وقهر النادمين..
يسكُب كل ذلك في إناء القلب
ويشربه صباحاً ومساءً..

(٥٣)

كيف لم يلمحوا
على أنغام ضحكاتنا المُسترسلة
تتأرجحُ الأحرانُ
ضاحكةً مسرورةً..!!؟

(٥٤)

تحكي السماء قصة القمر

فتقول :

في زمنٍ ما كان لهذا القمر الكثير من الأصدقاء وكان شديد
التعلق بهم!!

لكنهم فجأةً تخلوا عنه ورحلوا!!!

ومنذ ذلك الوقت يُغلقُ داره على نفسه مُنعزلاً عن الناس..
وفي الليل يُوقدُ مواجهه ويسهرُ وحيداً في العتمة..

يُعلّقُ الليل : لكن ضوءه هدايةً للسائرين في الدروب
المُعتمة..

تقولُ السماء : كم هو مُرهق أن تحترق ولا يبدو من نارك إلا
نورها المُتوهج!!

(٥٥)

يركضُ في دربٍ طويلٍ من الصَّبْرِ
وكُلِّما لاحَت لعَيْنِيهِ محطاتَ الوُصُولِ
باغْتَهُ السَّرَاب!!

(٥٦)

يبكي بدمعٍ مُنْهمرٍ
كُلِّما احتشَدتِ الأشْواقُ في ممراتِ قلبه المُتعب!

(٥٧)

أطلي واجهتي بالبياض، أخفي بذلك ضجر أعماقي من شدة
السّواد الذي يسكنها !

أحاول أن أبدو أكثر ضياءً، لذا أشعل من نار صبري
شموعاً، اضعها على أنامل رُوحِي المُرّهقة، أوهمهم أنني
مُضيئة! أولئك الذين يؤكدون أنّه يجب عليّ الاحتراق حتى
أنطفئ!!

صامته لا أقول شيئاً، هادئة أكتفي بالابتسام! وكأن كل ما بيّ
لا يعنيني!!

ذلك الصّمود الذي أبدو عليه ليس سوى قشرة غلفت رُوحِي
بها، كي أداري عن عيونهم المُتربصة.. ندوبي ..هشاشتي
تعي..!

ذلك التناقض بين ما أنا عليه حقاً وما يبدو عليّ، جعلني
حائرة مضطربة..

ذلك الثبات الزائف مزقني.. بعثرني.. شتتني..!

في كل مرة كانت الحياة تُحطّمني، كُنْتُ أَسْرَعُ في تعمير
رُوحِي وبناءها من الخارج، كي لا ينكشف أمر الخراب
القابع داخلها..!!

(٥٨)

تبتسمين
يمحو الليلُ عن وجهه
غُبارَ الظَّلامِ
يُلَوِّنُ وجنَّاته بالضياءِ
ومن جبينه
يُطلِّ القمر!

تبتسمين
يخجلُ الليلُ من كآبته
ويُصبحُ فجرًا!

(٥٩)

كفراشة

تُحَلِّقُ باتجاهِ النَّارِ

تُبَحِّثُ عن فضاءٍ من ضياء!

بأجنحةٍ من الآمالِ تعلو

ثمّ تعلو

ترفّ

تتوقُّ للأنوار!

بلحظها الحيرانِ

ترنُّو للحريق!

لم تدر أنّ النّور وجه للّهيب!

(٦٠)

العيونُ شفاه ناطقة تنبئك بما عجزت عن كشفه الألفاظُ
المُتلعثمة!

تُسَطِّر العينُ على صفحاتها الخالية مكنونات النفس آمالها
ومآسيها، تُترجمُ بواطنها العميقة دُموعًا، تسيلُ أحزانها على
الخدِّ معانٍ مسفُوكة!!

(٦١)

يُلجِمُ أفواهَ الكلماتِ المُستغيثة
يمنعُها الوقوفَ على حافةِ النداء!
كُلَّما طافَ بمحرابهِ المهجُور
بعض من خيالِ الراحلين..!

(٦٢)

لم يكن مروره عابراً
كان حتى القلب يلتفت إليه ..!

(٦٣)

أسير في الدرب الشاق بخطى حذرة
حاملة قلبي المتعب بين كفي!
يرتجف بين أصابعي خوفاً
أهمس إليه : اتد..

تضطرب خفقاته :

قلب خائر

لا طاقة له على التشظي !

(٦٤)

قلبه الناضج سنبلة يانعة!
عصفت به الريح يوماً
فنثر على الأرض بعضاً منه..

غداً سيمضي ويُنسى
سُطِطرُ السماء يوماً
ستتبت أحزانه المنسية
سنابل خضراء
قوت للعابرين بلا زاد!!

(٦٥)

بين كمّ تلك الدّموع المهدورة
سقطت من القلب ضحكة دون قصد!!

(٦٦)

تلك الدّمة المتشبثة بجدار الرّوح
مُقاومةً عواصف الحزن المُفاجئة!

لم تعلم أنّ السَّقُوط راحةٌ لها!!

(٦٧)

لمع في عينيه بريق الصبح
لما نظر في عينيها
طافت النظرات حوله بأجنحة شفيفة
حدّثته أنّ خلف الأجفان سماء ثانية!

بشغفٍ تسلّق الأحلام الشاهقة
رمى بروحه من عليائها
ظنّا منه أنّ الحبّ يصنع المعجزات
ولما آلمه السقوط
فاق من صبوته
أخذ يُللم شتاته
ومضى بلا قلب!!

(٦٨)

ظلّ وحيد شارد
 في الضوّ يبحثُ عن ملاذ
 عن أي رُكنٍ يحتويه
 عمّن يُبدّد عن ملامحه الأسي
 أو من يُعيد إليه وهج الانتصار!!

ظلّ غريب
 بلا رفيقٍ أو سكن
 لا شيء يُشبهه
 لا العتَمات لا الشّمس
 ولا حتى الضّباب!!
 ظلّ يجُوب دروب هذا الكون
 تكسره انحناءاتُ الطريق
 وهذه الجدران تأبى أن تضمّه!

ظلّ وحيد شارد
على جبين الأرضِ وشم زائل
ظلّ يموت النورُ في عينيه
لو حلّ الظلام!

(٦٩)

الريّحُ ليست سوى أنفاس الأرضِ المُتعبةِ من الدورانِ
المُستمر!

تتساءلُ السّماء :

- أيُّ أمرٍ عظيمٍ أصابَ هذه الأرضَ فتتهدّت من وصيها
إعصاراً..؟!!!

(٧٠)

- كيف لها أن تُغني
وقد سرق الغيابُ شدو لحنها؟!

كيف لها أن تبتسم!
وأعماقها تغرقُ بالدموع!!؟

(٧١)

- هُناك دُخان بين أنفاسك!

- أظنّ قلبي يحترق!!

(٧٢)

على نافذة المساء
أغني ترنيمة الظلام
تأهت كنسمة
تبحث عن هواءٍ يتعرّف عليها
عن رئة تتذكر عبق شذاها
في مدينة
جميع ما فيها يؤول للفناء...!!

(٧٣)

- غارق في .. أكاد أختنق..

- لا أثر للماء على ثيابك !!

(٧٤)

قبل أن أنام
أغلقُ كُلَّ نوافذِ رُوحِي خشيةً أن يتسلل الخوفُ إليَّ
أن يندس تحت وسادتي ويمنعني المنام..!

أُغمضُ عيني !
تُقرعُ أبواب ذاكرتي الموصدة :
أنا الخوفُ القديم
من درُوبِ الماضي البعيد أتيتُ
يطاردُني النسيان!
- هل أجدُ بقلبك الأمان؟! -

(٧٥)

تتكسُّ في ذاكرتك
تلك الخيالاتُ التي حَلِمْتَ بِها ولم تتحقَّق!!

أمست تلك الخيالاتُ رُكامَ ذِكرى
والذكرى لحظات فانية
- كيف لنا أن نُعيد لها الحياة؟! -

(٧٦)

أنا والقلبُ أسرى
في دروبِ الشوقِ نمضي
كالحيارى.. مُتعبين
نَحْمِلُ الآلامَ قسراً
وعلى أحداقنا دمعُ دفين..
مُوجِعُ ياروحِ خطوِّ فوق أشواكِ الحنين..

خافقُ يا قلبُ دوماً
 بين نار وسعير
 خلف قُضبان الأسي
 تبكي وحيداً
 تنشدُ التحليق
 كالطير الكسير..

مُرهُقُ ياقلب أن تبقى سجين
 وتُحيل النغم العذب
 مرأً كالأنين..

آه من طيفِ خيالٍ زارني
 يتراءى لي بأطرافِ الفضاء
 يسكبُ الوجدَ بكفي والضياء..

وأنا أصغي لصمتِ هامسٍ
 ملء السكون..
 تحملُ النسمات صوتاً دافئاً
 عبر الأثير..
 يجلبُ البشرى لقلبي والفتون

هاهو الطيفُ تلاشى من أمامي
كالذُخان

اختفى الطيفُ وضاعَ
خلف أسوار الظنون!!.

(٧٧)

وطن مُمزّق
مرمي على قارعة الزّمن!
يمرّ العابرون
لا أحد يُنصت لنواجه
لا أحد يكثرث !!

(٧٨)

حين ينفد مخزونُ الدّمع من الأعماق
سيموت هذا الحُزنُ عطشاً!
ستنسجُ الرُّوحُ من ضجرِها فرحاً يدوم طويلاً
فرحاً لن يختفي
ما دامت لنا قُدرة الابتسام!!

(٧٩)

أَكْتُبُنِي حُرُوفًا
 كِي لَا أُنْسَى!
 أُشَيِّدُ حَوْلِي الْأَقْوَاسَ
 (كِي لَا أَتُوهُ وَأَفْقِدُنِي) !!"

(٨٠)

وَلَأَنَّهَا عَمِيقَةٌ
 لَا أَحَدٌ يَنْجُو
 بَعْدَ الْغَوْصِ فِي تَفَاصِيلِهَا!!

(٨١)

أغلق أبواب قلبه على أصابع كثيرة امتدت لتُصافحه!!
كان خائفًا أن تعرف تلك الأيدي طريقها لأعماقه، أن تأخذ
معها أفراحه بدلًا عن أحزانه!!
- مُواسيًا نفسه :

" دمع وفير ومسرة خير من ابتسامات زهيدة !"

(٨٢)

بعد المضي في دروب شتى
أدركت أخيرًا أن كل طريق سلكته لغير الله نهايته مسدودة..
وكل وجهة دون السماء هاوية.

(٨٣)

يصلُ بنا النسيانُ إلى تلك الزوايا حيث ارتسمت ملامحُ
الحكاية، قبل أن نبدأ الركض في أحداثها البائسة!"

(٨٤)

الشمسُ ممحاةُ العتمة!
تُشرق
لتمحو عن صفحة الكونِ
مدادَ الظلام!!

(٨٥)

وقفتُ في وجوههم
صرختُ ملء الصَّبرِ : كُفُّوا!
عن خطِّ هذا الدَّمعِ آلامًا
عن خدشِ هذا الجُرحِ بالتذكُّارِ
صرختُ لكن
لا مُجيب!

سمعتُ صوتَ القلبِ يهمسُ راجفًا
ما بين زخاتِ الלהيبِ :
كُفِّي عن القولِ العجيبِ
فليس بي قساوةً كي أحتمل وهجَ الدَّموعِ الحائراتِ!
كي لا أبالي كُلَّما صرخوا وناحوا
كي أسافر في شجُوني
دون أن أدري بأنَّ لهذهِ الآلامِ آلامَ بعيدة
ولهذهِ المأساةِ مأساةَ جديدة
كي لا أعود
كُلَّما شطت بي الآمالُ
واخترتُ القصيَّ من الدُّروبِ

كي لا أبالي كُلّما نادوا بصوتٍ بائسٍ :
لا تبتعد!!

يا ليت لي نسيان
كي أهزم الذّكرى
وأمتنع الرّجوع!
وليت بي سلوان
به أَكْفِكُ دمعِي المهدُورَ شجواً
به أَجْفُ نَزَفَ أحلامي التّعيسة!
وليت لي أمل
به أضْمِدُ حرفي المكلومَ حُزناً
به تُشْفِي جِراحاتُ القصيدةِ والكلام!

(٨٦)

- " الْحَيَاةُ عَنَاءٌ دَائِمٌ!
فَهَلْ أَسْتَرِيحُ عَلَى مُقْلَتَيْكَ ؟! .

(٨٧)

- أَيْنَ يَذْهَبُ الْبُكَاءُ الَّذِي لَا يَتَدَفَّقُ ؟!!!

- يَصِيرُ بَحْرَ حُزْنٍ
نَغْرَقُ فِيهِ بِدَاخِلِنَا !..

(٨٨)

لم ينتبه أنّها المرّة الأخيرة!

فضّل أن يبتلع البوح العالق في حنجرتِه، أن يمضي حاملاً
ثقل الكلمات بداخله، لم يدرك أنّها ستظلّ غُصّة تُلازمُه إلى
الأبد..

لم يدرك أنّها المرّة الأخيرة..

لم يعد...!!

(٨٩)

افتحي نوافذ الليل

أطلي بوجهك الفتان كالشمس

أوهمي الظلمات أن الصبح أقبل!!

(٩٠)

نختزلُ البوحَ بالكتابة
 نضعُ على الحُرُوفِ ثِقَلَ أعباءِنا ومآسينا..
 ندْفُنُ وجوهنا بين السَّطُورِ
 خوفَ أن تلمحَ الأعينُ البُؤْسَ على ملامحِنا!
 نحاولُ عبثًا أن نضيعَ بين الكَلِماتِ
 ونختفي بين الأفكارِ
 وتكشفُنا دلالَةُ الكلامِ..!

(٩١)

تُرغمنا الحياة أحياناً على المُضي في طريقٍ لم نشأ يوماً
السّير فيه، ومرافقة أشخاص لم يكونوا أبداً ضمن توقعاتنا
وأحلامنا..

ولأننا نتذكّر ونستيقن أنّ الحياة هي اختبار مُتواصل فإنّنا
نقبلُ بتلك الخيارات التي تضعها الحياة أمامنا، ونحاولُ
جاهدين أن نمضي فيها بأنفسٍ راضية أو على الأقل صابرة!!
لعلمنا أن التذمّر والسّخط ليس فقط أمراً سيئاً ويُنافي إيمانَ
المؤمنِ بالقدر، بل أيضاً مؤذي للنفسِ ومثبط للهممِ ومثار
للحُزن والكآبة في القلب..

فإنّنا حين نُفكر أن التذمّر لن يُغيّر شيئاً في سيرِ أقدارنا فضلاً
عن أنّه يُنغص علينا العيشَ بسلامٍ وطُمأنينة، فإنّنا نصبرُ على
ما لا قُدرة لنا على ردّه أو تغيير شيء فيه..

نصبرُ صبرَ راضين لا صبر عاجزين، نصبرُ ونحن نُؤمنُ
في قرارة أنفسنا أنّ هذه هي الطريقة المُثلى للتعاملِ مع الحياةِ
المتغيرة والأقدارِ الماضية، مُدركين تماماً أنّ الصّبر هو
طريق النّجاة الوحيد، وأنّنا مع الصّبر ننالُ درجة المؤمنين
الصّابرين، لعلمنا أنّ الله لا يُقدّر لعباده شيئاً إلا لحكمة
وغاية، وأن وراء الشرّ الذي نراه في تلك الأقدار يكمنُ لُطف
خفيّ بنا، قد لا ندركه لكننا نُؤمن أنّه موجود،

لذا نُذعن ونُسلم ونمضي فيما كتب الله لنا راضين مُتوكّلين .

(٩٢)

البُعدُ مسافات تُقاسُ بالأميالِ وأحيانًا بالسّنوات، وعادةً يَكُونُ
بُعدُ الزّمن أثقل على القلبِ وأشدّ مرارة..

لكن البُعد الحقيقي هي المسافاتُ التي نضعُها بيننا وبين
الآخرين عمدًا أو مُجبرين، تلك المسافاتُ لا تُقاسُ بالأميالِ
ولا بالسنوات بل بقراراتٍ اتخذناها بيننا وبين أنفسنا، أنّ
هؤلاء البشر لم يعودوا قريبين مِنّا كعاداتهم! بل يفصلنا عنهم
مسافات طويلة غير مرئية، تُقاسُ بمدى النّفور عنهم
واللامبالاة والتغافل في حُضورهم أو حُضور ذِكْرهم، فضلًا
عن تلك الأسوار والحواجز اللامرئية والتي شيدناها حول
قلوبنا خشيةً منهم ..

قريبين مكانًا وزمانًا لكنهم بعيدين أرواحًا وقلوبًا، فحتى لو
قطعوا تلك المسافات للوصول إلينا منعتهم عنّا تلك الأسوار
والحصون التي حصّنا أرواحنا خلفها!"

(٩٣)

أكتبُ
لأن الشفاه ملّت الصّمت
والقلب يُتعبُهُ الكلام!

(٩٤)

يقفُ النّهار
مُتعبًا من الرّكض
تحت وهج الشّمس السّاطعة!!

يُفكرُ أن يستريح
يأوي لظلّ شجرةٍ
فتهربُ الظّلال!!

(٩٥)

على حافة الدّمع الأخير

ضحكة

تقف بحذر

تتمنى لو تبسط ذراعيها للشمس

بغبطتها الطاغية تواجه حدة الرياح

كآبة الأمطار والشتاء!

وبصداها الفضفاض

تقهر نبرة النحيب!

تتمنى لو تتسع كفجوة

لتبتلع جميع ما في الكون من أحزان!

ضحكة على ضفاف الدّمع

واقفة بحذر

ترتعش!

تخاف لو يجرفها موج الأسى

فتغرق!

(٩٦)

يا ربّ
حين تضيقُ الدُّرُوبُ
ويشقّ الوُصُولُ
وتكلّ أقدامُ الصّبرِ

يا ربّ
حين تتراءى الغايات
وتتوارى
عن أبصارنا السُّبُلِ

يا ربّ
حين تقنّى الحِيلُ..

(٩٧)

عند الغروب
يستيقظُ الليلُ الحزينُ
ينفضُ عن جبينه بقايا شعاعِ آفل
يقفُ على الأفقِ
يفردُ ذراعيه
يُغطي سماءَ َ هذه المدينة الضجرة
بمعطفٍ معتمٍ
أزراره نجومٌ
تُضيءُ الدُروبَ الحالكة
ليمضي السائرون..
يملُّ الضجيجُ صخبَ الشوارعِ
يأخذُ كلُّ أثقاله
ويستريحُ
على صدورِ أضناها السهر!

(٩٨)

لو أرادَ الجمالُ أن يبدو للعيانِ بهيئةَ بشريّةٍ لتشكّلت ملامحُه
كلامحك!

لن ينظرُ في المرآةِ
بل في وجهك
ليرى انعكاسَ صورتهِ على أديم خديك!..

(٩٩)

- ما الكِتَابَةُ بالنّسبةِ إليك؟!
- دومًا أظنّها فعل خلاص..!!

أكتبُ لأنجو منّي
لكنني
سرّعان ما أجذّ قلبي مُلقى بين أيدي الكلمات!!
يقُولُ مُبدّدًا كُلَّ ادّعاءتي ووهْمي :

" في الكِتَابَةِ لا مناص..! "

(١٠٠)

- لَمْ حُرُوفِكَ سَوْدَاءَ ؟!

- لأنني حين أكتب أخذ من الليل بعض بُكائِهِ، والقليل من
نزفِ جُروحِهِ..

أَمْزُجُ ذلك ببعض من كُحلِ عيناَي ودَمَعِهما، فيُمسي مِدادي
قاتماً كعُتْمَةِ الليلِ الشَّجِي، ساهماً كحُلُمٍ مَهِيضٍ، ذابَ في
عينيَّ انْهزاماً وانحدرَ من جُفُونِها كدمعةٍ باردةٍ !!"

(١٠١)

دع الفرحة تتخلل أعماقك، ببهجتِها تُذيبُ ما قسي من
أوجاعِك..

تختلطُ بأحزانِك القديمة فتُلطِّفُها، تُعيدُ تشكيلَ ملامحِ رُوحِك
الشاحبة لتبدو بعدها أكثرَ بهاءً ونُصرةً..

دع الفرحة تختبئُ بداخلِك، تُلْمِمْ شتاتَكَ وتُعيدُ بناءَ ما تهدمَ
منك..

(١٠٢)

ما بين مُقبلٍ ومُغادرٍ
هناك راحلٍ ليس يأتي!

ما بين تحيةٍ ووداعٍ
هناك حُضورٍ مُرتبك!

ما بين أحداثٍ مُهملةٍ
وذاكرةٍ مُستبدةٍ
هناك استراحةٌ شُرود!

ما بين صمتٍ وصمتٍ
هناك بوحٍ مُطرق!

ما بين بوحٍ وبوحٍ
هناك حديثٌ لا يُقال!!

(١٠٣)

لا تسلك درباً لا يقودك نحو السماء، سيسير بك الدرب نحو
الهاوية..

احذر..

لا تتعب خطواتك عبثاً..

(١٠٤)

حين تنتابني رغبة في الكتابة، تُحلق الكلمات حولي، تستند
على حائط الفكر، بلهفة تنتظر أن ترتوي بفائض من
الشعور، فاض عن إناء الروح ولا طاقة لي باحتوائه أكثر..

ترتشف الكلمات من قلبي فنزهر!

أتساءل :

كيف للورد التفح من ضياء المعاني؟

كيف لها أن تثمر على فمي وبين أصابعي؟!

(١٠٥)

في انبثاقه فجرٍ ندي
بعد ليلة شتوية مُظلمة
تستيقظ الأرضُ من نومِها
تستقبلُ الصباحَ بلهفةٍ
للضوءِ والدفءِ..

تفتحُ الجميلةُ جفنيها
تُطلّ على الكونِ
بوجهها المُفعمِ فتنة
يدنو الصباحُ
يغرفُ من بريق عينيها الضياء
لتُشرق الشمسُ
للفقراء البائسين
من ينامون الليل يأساً
لانعدامِ النور
واختفاءِ القمر

تُحدِّقُ الشمسُ في زهُول
تسرقُ من بين كفيِّها
الدفءَ والحنان
تمنحُ العشبَ
الشجرَ والنخيل
فتدبُّ الحياةُ في الجذورِ من جديد
وتتباهى الأرضُ بثوبها الأخضر
يركضُ الأطفالُ في الحقول
وتمرُّ البهجة
تداعبُ الأرواحَ
ويعودُ السلامُ
لقلبٍ مُنهكٍ مهزوم..

(١٠٦)

"مساءً .. تسكنُ الرُّوحُ خاشعةً في كهفِ الظُّلمات، تُصغي
لأناشيدِ الوجودِ الصامتة، أغمضُ عينيَّ فيفتحُ القلبُ عينيه
ليرى المعنى المختبئ خلف ستائر الفكر المُسدلة، أضيءُ
قناديلَ الأفكار فتُحدِّقُ الأوراقُ مبهورة، تنسكبُ الكلماتُ
عليها ومضات من نور"

(١٠٧)

عند بيتك العتيق..
وقفت أرواحُ مُرتجفة قُبالة بابك
وفي البقعة المقدسة منه
تتسابقُ خاشعةً للفوز بقبولك..
عند بابك المفتوح لا إمتيازات ولا منح..
هناك لا فرق بين قوي وضعيف

غني وفقير
 أبيض وأسود
 حاكم ومحكوم
 كلهم في ميزانك سواسية..
 على مشارف رحمتك
 تتزاحم قلوب كثيرة
 كلها طامعة أن تنال ثوابك
 أن تشملها واسع رحمتك..
 ينال قبولك أولاً
 قلب علق آماله بك وحدك..

(١٠٨)

كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدَّمْعِ..

ليس لأنه مُسَكَّ َنَّ لآلَامِ قَلْبٍ مَكْلُومٍ يَجُودُ مِنْ نَهْرٍ عَيْنِيهِ مَا
يُرْوِي بِهِ حَدَائِقَ الْوَجَنَاتِ، لِيَتَفَتَحَ الْوَرْدُ فِيَفُوخٍ عَبْقُهُ يُعْطِرُ
الْأَرْجَاءَ، يُخْبِرُ الْأَنْوَفَ الْحَاقِدَةَ أَنْ بُسْتَانًا هُنَا فِي الْقَلْبِ
يُزْهَرُ، لَا بُرْكَانَ مِنْ لَهَبٍ يُذِيبُ بِهِجَةً الْمَسْرَاتِ..

كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدَّمْعِ..!!

ليس لأنه تَخْفِيفٌ لَعْنَاءِ رُوحٍ تَعَبَتْ مِنْ حَمْلِ أَثْقَالِهَا، فَتَبْدُو
بَعْدَهُ كَرِيشَةً تَرَكْتُ جَنَاحَ طَائِرٍ، فَحَلَّقَتْ فِي فِضَاءِهَا الْوَاسِعِ،
لَنْ يُسْقِطُهَا الْأَسَى وَالْيَأْسُ يَوْمًا..

كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الدَّمْعِ!

لأنه دَوْمًا حِيلَةُ الْمَغْلُوبِ عَلَى أَمْرِهِ،

مَنْ لَا يَمْلِكُ خِيَارًا لِلْهَرُوبِ مِنْ وَجَعٍ يُطَارِدُهُ، إِلَّا بِالْانْزِوَاءِ
فِي زَاوِيَةِ الدَّمْعِ الْبَعِيدَةِ عَنْ أَعْيُنِ التَّشْفَى وَالْفُضُولِ،
لِيُؤَكِّدَ لِلْحَزَنِ يَوْمًا فَيَقُولُ: أَغْرَقْتُكَ -يَا ضَعِيفًا- فِي بَحْرِ
دَمْعِي، شَاهِقًا أَنْفَاسَكَ مُسْتَعِظَفًا شَفَقْتِي، لَمْ أَبَالِي بِأَهَاتِكَ،
إِرْوَاءً لِرَغْبَةِ انتِقَامِي مِنْكَ، وَزُهْوَاً لِنَشْوَةِ انتِقَارِي عَلَيْكَ
نَهَايَةِ الْمَطَافِ..

ما بين دمة ودمعة هناك قصة مأساة، مُحِيتْ تفاصيلُها قبل أن
تُروى لآذانٍ لا تُصغي، ولقلوبٍ لن تأبه يوماً لأحداثها، لو
ظَلَّتْ لظَلَّ الجُرْحُ في الأعماقِ يحفرُ ظلهُ، يستحلُّ الروح
فتمسي مسكنه!

كانَ لا بُدَّ مِنَ الدمعِ..لأنه كان لا بُدَّ مِنْه..

(١٠٩)

الخوفُ يُقلقُ راحتي
والحُزنُ يملأُ غُربتي
أرجوك يا رب الأمان
الروحُ أرهاقها الألم
والقلبُ أدمته الجراح
تاھت خُطاي على الدروب
وتعبتُ من حملِ المصاعب
دون عون أو رفيق
وإليك يا رب لجأت

كُنْ لي مُعِينَا وَرَفِيقُ
وإِلَى طَرِيقِكَ دُلْنِي
أَنْتَ الْمَلَاذِ
وَإِلَيْكَ يَا رَبَّ الْمَأْبِ..

نَفْسِي تَقْوُدُ إِلَى الْهَوَى
الشَّرُّ ضَاقَ بِهِ الْفَضَاءُ
وَالْأَرْضُ تَمْلَأُهَا الْفِتْنُ
الْوَقْتُ يَمْضِي فِي عَجَلٍ
يَا رَبَّ أَلْهَمْنِي الصَّلَاحَ
يَا رَبَّ ثَبِّتْ لِي خُطَايَ
فِي الْحَقِّ دَوْمًا لَا أَمِيلُ
فِي الْخَيْرِ أَثَارِي تَدُومُ

يَا رَبَّ عِنْدَكَ لَا يُرَدُّ السَّائِلُونَ
يَا رَبُّ أَسْأَلُكَ النِّجَاةَ
فِي كُلِّ حِينٍ كُنْ مَعِي..

(١١٠)

حِينَ تَمُرُ بِمَكَانٍ مَا، وَتَمَكُّثُ فِيهِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ وَمِنْ ثَمَّ تَرْحَلُ،
لَا تَتْرُكُهُ كَمَا كَانَ قَبْلَ حُضُورِكَ!!

ضَعُ فِي الْمَكَانِ بَعْضًا مِنْكَ، وَازْرَعْ فِي الْقُلُوبِ الَّتِي مَرَرْتَ
بِهَا أَثْرًا جَمِيلًا، كَلِمَةً طَيِّبَةً، ضَحْكَةً أَوْ مَوَاسَاةً..

اَتْرُكْ وَرَائِكَ مَا يُذَكِّرُهُمْ بِكَ، لَوْ يَوْمًا تَمَحُوكَ أَصَابِعُ النِّسْيَانِ..

(١١١)

مُنْذَ أَنْ نَبَتَتْ بَرَاعَةُ فِكْرِي الْبِدَائِيَّةِ، وَأَزْهَرَتْ رُوحِي عَلَى
أَغْصَانِ جَسَدِي الْغَضِّ، وَبَدَأَ رُوقُهَا عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِي
الطُّفُولِيِّ..

وَأَنَا أَرَى أَفْكَارِي لَا تَتَوَانِمُ مَعَ رُؤَايَاهُمْ وَأَفْكَارِهِمْ، وَلِي أَحْلَامُ
لَا تُشَابِهُ أَحْلَامَهُمْ، وَعَادَةً لَا يَسْتَهْوِينِي مَا يَسْتَهْوِيهِمْ..

لَا مَلَامِحَ الْأَرْضِ تُشَبِّهُنِي وَلَا هُمْ..

لَطَالَمَا كَانَتْ رُوحِي تُحَلِّقُ فِي فِضَاءٍ بَعِيدٍ عَنِ الْأُفُقِ الَّذِي
تَطَالُهُ أَعْيُنُهُمْ، أَجِدُ ذَاتِي بِالْإِنْعِزَالِ عَنْهُمْ، حِينَ أَنْخَرْتُ مَعَهَا
فِي عَوَالِمِ أُخْرَى أَكْثَرَ هِدُوءًا وَسَلَامًا .

(١١٢)

لا يُؤلمنا أذى يلحقنا من غرباء لم نهتم لأمرهم يوماً ، لا
يصل مدى تأثير أفعالهم أطراف ظلالنا الباهتة على الطريق
الذي سرعان ما نقطعه بثبات ، وندوس بأقدامنا كلمات شائكة
رموها عليه ولا نبالي ..

أما القريبون .. من جعلنا لهم القلب منزلاً وسكناً ، أذاهم
يحفرون في القلب نفقاً حتى الصميم ، هناك ينفثون جلّ غضبهم
وضجّهم ، يتقبّون الروح بكلمات حادة تُقوّباً هائلة مهما
تعاقت عليها الأفراح والأتراح لا تُسدّ ولا تلتئم !!
ثقبوا تعبّر الريح من خلالها إلى الأعماق ، وهناك تُذكي
بحقدّها نيران أوجاعنا ومآسينا التي نحاول بالصبر إخمادها
عبثاً ولا نُفلح !!

تبقى مرارة الأذى الذي نالنا منهم مُلتصقة على لسان
الذاكرة ، نتذوق النسيان مراراً علّها تُمحي .. ولا تُمحي !

(١١٣)

لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تُطْفِئَ أَضْوَاءَ الْآخَرِينَ لَيْسَطُعْ نَجْمَكَ
وَيَسْمُو ذِكْرَكَ..

لِذَا لَا تُسْكِتَ أَحَدًا لِتَتَحَدَّثَ أَنْتِ..

لَا تُذِمَّ أَحَدًا لِتَمْدَحَ نَفْسَكَ..

لَا تُنْقِصَ شَأْنَ أَحَدٍ لِيَعْلُو شَأْنُكَ..

بَلْ اشْعَلِ فِي الْأَعْمَاقِ نُورَكَ الْخَاصَّ، سَيُضِيءُ الدَّرَبَ ثِقَةً
وَتَبَاتٍ، وَيَبْدُو عَلَى مَلَامِحِكَ فَرَحًا وَحَيَاةً..

كُنْ مُمَيِّزًا بِاخْتِلَافِكَ ..

عَظِيمٍ بَانْفِرَادِكَ ..

كُنْ شَمْسًا إِذَا أَشْرَقَتْ بِهِتَ كُلُّ نُورٍ دُونَهَا..

(١١٤)

- أيّ الوجوه عصيّة عن النسيان؟

- تلك التي وجدنا في ثناياها آمالنا القصوى وغايتنا البعيدة..
تلك التي تعثرنا بالنظر في ملامحها وسقطنا بين طياتها!!

(١١٥)

الحُبُّ أن تجد النعيم
هناك في أقصى الدُروب
بين طياتِ الغرام
يلُوحُ لك
وحين تركُضُ هاتفاً
يا حُب أين سعادتي؟!
يتوه ظُلك في السراب

ويذوبُ صَوْتُكَ

في الضباب!!

الحُبُّ أن تجد الدليلَ

إلى شقاءك مُرغمًا

ويطيبُ لك

ويطيبُ لك

أن ترتوي

من فيضِ قسوته شراب!

الحُبُّ أن تغفو بجفنٍ دامعٍ

تصحو بجفنٍ دامعٍ

على سريرِ الاكتئاب..

الحُبُّ أن تمضي وحيدًا

تبقى وحيدًا

ترى تقاطيعَ الأسى مرسومةً

على ملامح وجه يومك
في مرايا الاغتراب!!

الحُبُّ أن تغدو أسيرًا
تقتاتُ من وهم الخيال مسرّةً
ترتشفُ المُنَى
بفم العذاب!!

الحُبُّ أن تختار شكل نهايتك
شنقًا على أيدي الغياب..

(١١٦)

في المسافةِ الفاصلةِ بين
 الحضورِ والغيابِ
 الانتباهِ والنسيانِ
 الصمتِ والثرثرةِ
 تقفُ الرّوحُ مُرهقةً
 تحملُ على عاتقها
 كومةً من الأحاديثِ التي لا تُقال
 النداءاتِ المبحوحةِ
 المواعيدِ المُهملةِ
 الخيباتِ المُتتاليةِ
 والقليلِ من الأمنياتِ!
 تقفُ الرّوحُ شاردةً
 تنزعُ من جفنِ المساءِ آخرَ دَمعةٍ مُعلّقةٍ!!
 ثم تتورأى بين عتَماتِ العدمِ
 خلف أسوارِ الوجُودِ!

(١١٧)

تتبدّل ملامحنا كلما تقدّم بنا العُمرُ مسافةً أطول، وحدها
المرأة تُخبرنا أنه قد مرّ الزمنُ من خلالنا دون أن نشعر!!
ففي تلك التجاعيد نرى كم درباً مُتعرّجاً سلكناهُ بجُهدٍ ومشقة
!! كيف خلّف ذلك التعبُ هذه الآثار على وجوهنا !
- فكيف يا تُرى تبدو ملامحُ أرواحنا بعد كُل هذا؟!!

(١١٨)

بتلك الكفّ _ التي تعبّت تلويحاً بوداعِ الكثيرِ من
الأصدقاء _ يمسحُ الغُبار عن مرآته القديمة..
ليرى حجم البهجة المُكّوم فوق وجهه !!

بتلك الأعين _ التي بكت لاندلاعِ الحرائق في بُستان
قلبه _ ينظرُ لملامحِ الربيعِ القادم ..
أماً أن تنبُت الزهور على أضلاعِهِ من جديد! !

(١١٩)

ضيّعتُ في الخطواتِ دربي!
ووقفتُ أسألُ عند بابك
أرجو
أن تحتويني رحمة منك
أدنو
وقلبي راهباً مُتيقناً
أنك لن تُعيد يديّ صفراً
فاقبل إلهي عودتي..

إن كُنت قد ضيّعتُ الطريقَ
لبابِ عفوك
يا إلهي
يومَ ألتهني المناظرُ
يومَ أغراني الزمان..

ونسيتُ أين وقفتُ أسأل!
أين السبيل إلى طريقك ؟
يا إلهي دُلني..
ونسيتُ أنك تسمعُ الهمسَ الخفي
وتقرأ الصمتَ المُسطر
بين أوراق النفوس..
ونسيتُ أنني حيثُ كنتُ
حيثُ أدركتُ عيني
هناك أنت..

رب أنت تعلمُ ما يعتلجُ الصدورَ من الأسى
وتسمعُ ما يجولُ بخاطري..

صرختُ بالصمتِ العتيق
وبكيتُ دمعاً لا يرى
" ربي أتيتُ إليك
أطرقُ بابَ عفوك
فاقبل إلهي عودتي
ورُدني رداً جميلاً "

(١٢٠)

الدموعُ ما هي إلا بوح تراكمَ في الرُّوحِ حتى صُعِبَ عليها
احتوائه، ضاقت به ذرعا فانفجرت دموعاً لا تُكفّنها
المواساة، سيل من لهب لا تسدّ مجراهُ الأكف، ولا يُخفّف
حرّه التنهيد...